جمهرة اللغة في ميزان الأزهريين
الأستاذ الدكتور وحيد عبدالمقصود إسماعيل زايد أنموذجاً
دراسة وصفية تحليلية

أ.د/أحمد بن عبدالرحمن بالخير
أستاذ الدراسات اللغوية المشارك
المساعد جامعة ظفار – سلطنة عُمَان

د/عمر بن عبدالله محروس الصيعري
أستاذ اللسانيات التطبيقية
جامعة ظفار – سلطنة عُمَان

ملخص البحث

لقد عكف العلماء على درس كتاب الجمهرة أو حفظها أو اختصارها أو الاستدراك عليها أو نقدها ... وفي عصرنا الحديث تناول الكثيرون معجم جمهرة اللغة فكان للأزهريين باع طويل في ذلك فظهرت العديد من الدراسات المتمحورة حول جمهرة اللغة منها : الانتصار لابن دريد في مواجهة الأزهري للدكتور نور حامد الشاذلي ، ومخالفات ابن دريد لمنهجه في معجمه الجمهرة للأستاذ الدكتور وحيد عبدالمقصود إسماعيل زايد .... وغيرها.

من هذا المنطلق كان اختيار هذا الموضوع بعنوان(جمهرة اللغة في ميزان الأزهريين "الأستاذ الدكتور وحيد عبدالمقصود إسماعيل زايد أنموذجاً" دراسة وصفية تحليلية) سعياً إلى الكشف عن جهود الأستاذ الدكتور وحيد عبدالمقصود إسماعيل زايد رئيس قسم أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة الأزهر فرع دسوق الموجّهة إلى معجم جمهرة اللغة.

وقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين تناولا التعريف بمؤلف المعجم ومعجمه ، ومن ثم دراسة منهج الأستاذ الدكتور وحيد عبدالمقصود إسماعيل زايد في تتبّعه لمخالفات ابن دريد لمنهجه في جمهرة اللغة، وختم البحث بخاتمة تعرّضت لأبرز نتائج البحث التي بيّنت أنه لم يخل باب من أبواب الجمهرة من خلل الأصول أو اضطرابها، وكَثُرَ الخلل في: ما فيه هاء تأنّيث (تاء تأنّيث) وبخاصّة الثّلاثيّ المضعّف والثّلاثيّ المعتلّ والرّباعيّ، ما فيه همزة، الثّلاثيّ

المعتلّ، الثلاثيّ المزيد بحرف للإلحاق، الرّباعيّ المزيد بحرف للإلحاق، ما فيه نون ثانية زائدة، ما فيه نون ثالثة ساكنة.

كذلك لم يكن جمهور الخلل في معجم الجمهرة ناشئاً عن قصور ابن دريد في التّصريف، كما قال بعض العلماء بل هو ناشيء عن أسباب مختلفة، منها ما يتّصل بمنهج ابن دريد، ومنها ما يتّصل برؤيته الخاصّة لبعض المسائل اللّغويّة ومنها ما يحمل على السّهو.

الكلمات المفتاحية: ابن دريد، جمهرة اللغة، النقد المعجمي، المعجمية العربية.

"Jamharat ALlogha in the Perspective of Al-Azhari Scholars: Professor Dr. Wahid Abdel Maqsoud Ismail Zaid as a Case Study"
Descriptive and Analytical Study

Abstract

Scientists have been engaged in studying, memorizing, abbreviating, supplementing, and critiquing the book "Al-Jamhara" (The Thesaurus). In our modern era, many have delved into the lexicon "Jamhara al-Lughah," with the Azharis being prominent in this field. Numerous studies have emerged focusing on the lexicon, including "Ibn Duraid's Victory against Al-Azhari" by Dr. Nour Hamed Al-Shazly, and "Ibn Duraid's Contraventions of His Methodology in His Thesaurus" by Professor Dr. Wahid Abdel Maqsoud Ismail Zaid, among others.

Based on this premise, the selection of this topic aims to uncover the efforts of Professor Dr. Wahid Abdel Maqsoud Ismail Zaid, head of the Department of Language Sciences at the Faculty of Islamic and Arabic Studies, Azhar University - Damanhur Branch, directed towards "Jamhara al-Lughah." The research first introduces the author of the lexicon and his work, followed by a study of the methodology of Professor Dr. Wahid Abdel Maqsoud Ismail Zaid in tracing Ibn Duraid's contraventions of his methodology in "Jamhara al-Lughah."

One of the prominent findings of the research is that no aspect of grammar has been spared from errors or disturbances, with errors being particularly abundant in: nouns with feminine markers, especially the dual and the plural forms; words with hamza; augmented triliteral and quadriliteral verbs; nouns with an additional letter for annexation; quadriliteral verbs with an additional letter for annexation; nouns with an extra second nun; and nouns with a silent third nun. Additionally, the majority of errors in the dictionary "Al-Jamhara" were not due to deficiencies in Ibn Duraid's conjugation, as some scholars have suggested, but rather stem from various reasons, including Ibn Duraid's methodology, his unique perspective on certain linguistic issues, and inadvertent mistakes.

Keywords: : Ibn Duraid, Jamharat al-Lugha, Lexicographical Criticism, Arabic Lexicography.

المقدمة

المعجميون عدُّوا ابن دريد رائدًا لمدرسة التقليبات الهجائية، وتجلى نظام هذه المدرسة في معجم (جمهرة اللغة) ومنهج هذه المدرسة جمع فيه ابن دريد بين الابتكار والتقليد؛ فقد تأثر بمنهج الخليل في أمور كثيرة وقلده فيها، وخالفه في الترتيب الصوتي وهذا هو جانب الابتكار لابن دريد بالإضافة إلى زيادته في عدد الأبواب وذكره لكثير من الصيغ التي أهملها الخليل، وكذلك اهتمامه بالكثير من اللغات؛ وخاصة أهل اليمن الذين ينتمي إليهم ابن دريد.

فعندما ألف ابن دريد معجم الجمهرة تلقاه العلماء بالترحاب وذلك بسبب شهرة مؤلّفه في اللغة، ولحاجة العصر إلى معجم جديد، يعضّد معجم "العين" ويسدّ ما فيه من نقص، ويتلافى ما فيه من عيوب. لكنه رغم ذلك لم يسلم من الذم ومن اتهامه بوجود مخالفات لمنهجه الذي ارتضاه وأفصح عنه في مقدمة معجمه.

لقد عكف العلماء على درس كتاب الجمهرة أو حفظها أو اختصارها أو الاستدراك عليها أو نقدها فوضع أبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب كتابه (فائت الجمهرة) ، وألّف أبو العلاء المعري كتاباً في شرح شواهده سماه (نشر شواهد الجمهرة) ، واختصرها الصاحب بن عباد في كتاب سماه (جوهرة الجمهرة) ، واختصرها ابن عنين الشاعر. وفي عصرنا الحديث تناول الكثيرون معجم جمهرة اللغة فكان للأزهريين باع طويل في ذلك فظهرت العديد من الدراسات المتمحورة حول جمهرة اللغة منها : النقد اللغوي في جمهرة اللغة للدكتور عبدالظاهر الشناوي السيد حسن ، واللهجات العربية في جمهرة اللغة لابن دريد للدكتور محمد عبداللطيف علي ، ومخالفات ابن دريد لمنهجه في معجمه الجمهرة للأستاذ الدكتور وحيد عبدالمقصود إسماعيل زايد .... وغيرها.

من هذا المنطلق كان الاختيار لهذا الموضوع للنظر في المخالفات التي نسبت إلى كتاب الجمهرة والتحقّق منها من خلال كتابات الأستاذ الدكتور وحيد زايد. إن الكشف عن خلل الأصول والمخالفات في معجم الجمهرة وبيان أنواعها، وكشف أسبابها خدمة للعلم وأهله، وتهذيب لمعجم كبير يُعَدّ من أقدم المصادر اللّغويّة المعتمدة، وليس فيه ضير على ابن دريد، والواجب يقضي بأن نقف موقف العدل من علمائنا ونحسن الظّنّ بهم، ونلتمس لهم الأعذار، ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، وأن نقدّر لهم علمهم ونحلّهم منازلهم الّتي استحقّوها، فلا نغلو بإطرائهم، ولا نَحُطّ من أقدارهم.وقد سلك البحث المنهج الوصفي التحليلي حيث قام بوصف ما أشار إليه الدكتور وحيد من مخالفات وتم استعراضها وتحليلها.

وقد اتجه البحث أولاً إلى التعريف بمؤلف المعجم ومعجمه ، ومن ثم دراسة منهج الأستاذ الدكتور وحيد عبدالمقصود إسماعيل زايد في تتبّعه لمخالفات ابن دريد لمنهجه في جمهرة اللغة.

المبحث الأول: وابن دريد وجمهرة اللغة:

أولاً : التعريف بابن دريد :

ابن دريد واحد من أفذاذ اللغة الذين كانت لهم جهود عظيمة في ميدانها ، فقد اشتهر في الشعر واللغة شهرة واسعة[1] .

وحرصت بعض كتب التراجم على سرد نسب ابن دريد ، فذكرت أنّه " محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حمامي بن واسع بن وهب بن سلمة بن حنتم بن حاضر بن حنتم بن ظالم بن حاضر بن أسد بن عديّ بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهير – ويقال زهران – بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك ابن نضر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الإمام أبو بكر الأزدي اللغوي الشافعي "[2] .

فابن دريد "من الأزد ، الذين كان مسكنهم في مأرب من أرض اليمن ، ثم ارتحلوا فسكن بعضهم في عُمان"[3] .

وقد ولد ابن دريد " بالبصرة في سكّة صالح في خلافة المعتصم سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وبالبصرة تأدّب ، وتعلّم اللغة وأشعار العرب ، وقرأ على علماء البصرة ثم صار إلى عُمان ، فأقام بها مدة، ثم صار إلى جزيرة ابن عمر ثم صار إلى فارس فسكنها مدة ،

[1] تنظر ترجمة ابن دريد بالتفصيل في الكتب التالية : نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – دار نهضة مصر – الفجالة – القاهرة – ص ٢٥٦ – ٢٥٧ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير – دار صادر - بيروت – ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م – ٨ / ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة : للقفطي (ت ٦٢٤ هـ) – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – الأولى – ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م – ٣ / ٩٤ : ١٠٠ ، ومعجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الأولى – ١٤١١ هـ - ١٩٩١م- ٥ / ٢٩٦ : ٣٠٣ ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) – تحقيق : د / إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ٤ / ٣٢٣ : ٣٢٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) – ط : مكتبة المعارف – بيروت – مكتبة النصر – الرياض – الأولى ١٩٦٦م ١١ / ١٧٦ ، ١٧٧ ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (٨٧٤ هـ) – طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ٣ / ٢٤٠ ، ٢٤١ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت – لبنان - ١ / ٧٦ : ٨١ ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) – مكتبة القدس ١٣٥٠ هـ - ٢ / ٢٨٩ : ٢٩١ ، والاشتقاق لابن دريد (مقدمة المحقق) – تحقيق : عبد السلام هارون – دار الجيل – بيروت – الأولى – ١٤١١ هـ - ١٩٩١م – ص ٣ : ٢٥ ،وشقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان للشيخ محمد بن ناصر الخصيبي –وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان – الثانية ١٩٨٩م- ٢١/١:٢٩.

[2] بغية الوعاة ١ / ٧٦ .

[3] الاشتقاق (مقدمة المحقق) ص ٣ .

ثم قدم بغداد فأقام بها إلى أن مات"[٤].

فابن دريد تنقّل بين مدن كثيرة لتلقي العلم ، وشجّعه على ذلك أن والده كان من " الرؤساء وذوي اليسار ..."[٥] .

وقد تتلمذ ابن دريد على علماء كثيرين ، من أشهرهم : عمّه الحسين بن دريد ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وأبو حاتم السجستاني ، وأبو الفضل الرياشي ، وأبو عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى ...[٦] .

وابن دريد كان من المعمّرين ، فقد عُمّر حوالي ثمان وتسعين سنة ، وجدير " بمن عُمّر هذا العمر الطويل في الرواية والمدارسة أن يكون له تلاميذ كثيرون ..."[٧].

وقد أورد الشيخ عبد السلام هارون في مقدّمته لتحقيق اشتقاق ابن دريد خمسة وأربعين تلميذاً لابن دريد ، ومن أشهرهم : أبو بكر محمد بن السريّ السرّاج (ت ٣١٦هـ) ، وأبو علي القالي (٦٥٣) ، وأبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني (٣٥٦) ، وابن خالويه (٣٧٠) ، وأبو علي الفارسي (٣٧٧) ، وأبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٣٨٢) ، وأبو الحسن علي بن عيسى الرمّاني (٣٨٤) ، وأبو القاسم الزجّاجي (٣٩٣) ... وغيرهم[٨].

وابن دريد برع في اللغة والشعر حتى قيل : " ابن دريد أشعر العلماء , وأعلم الشعراء "[٩]. وتوجد عبارات كثيرة تثبت قوّة حافظة ابن دريد وسعة محفوظاته ، وتؤكّد أيضاً جدارته في اللغة وتمكّنه منها ، ومن ذلك يقول أبو الطيب اللغوي عنه : " هو الذي انتهت إليه لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس ، وأوسعهم علماً ، وأقدرهم على الشعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد ، وتصدّر ابن دريد في العلم ستين سنة "[١٠].

---

[٤]معجم الأدباء ٥ / ٢٩٦ .
[٥]السابق ٥ / ٢٩٦ .
[١]ينظر : شيوخه بالتفصيل في بغية الوعاة ١ / ٥ ، ٦ .
[٢]الاشتقاق لابن دريد (مقدمة المحقق) ص ٦ .
[٣]ينظر تلاميذ ابن دريد بالتفصيل في الاشتقاق لابن دريد (مقدمة المحقق) ص ٦ ، ٧ ، ٨ .
[٤]معجم الأدباء ٥ / ٢٩٧ ، وبغية الوعاة ١ / ٧٧ .
[٥]مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي-دار الآفاق العربية-القاهرة-طبعة٢٠٠٣م : ص ٨٤ .

ويقول ابن تغري بردي : " وطلب { أي ابن دريد } الأدب واللغة حتى صار رأساً فيهما وفي أشعار العرب ..."[١١] ، ويقول القفطي : " وكان أبو بكر واسع الرواية ما رأى الرواة أحفظ منه ، وكان يُقرأ عليه دواوين العرب ، فيسابق إلى إتمامها بالحفظ لها "[١٢] ، ويقول أبو البركات الأنباري : " وكان { أي ابن دريد } من أكابر علماء العربية ، مقدّماً في اللغة وأنساب العرب وأشعارهم " [١٣] .

ويقول ابن العماد الحنبلي : " قال أحمد بن يوسف الأزرق : ما رأيت أحفظ من ابن دريد ، ما رأيته قُرئ عليه ديوان إلا وهو يسابق في قراءته .... وقال ابن خلّكان : إمام عصره { أي ابن دريد } في اللغة والآداب والشعر الفائق ، قال المسعودي في كتاب مروج الذهب في حقّه : وكان ابن دريد ببغداد ممن برع في زماننا هذا في الشعر ، وانتهى في اللغة ، ... وكان يذهب بالشعر كل مذهب ، فطوراً يجزل وطوراً يرقّ ، وشعره أكثر من أن نحصيه "[١٤] ، ويدلّ على قوة حافظته أيضاً أنه أملى الجمهرة ارتجالاً[١٥] .

فمما سبق تتبيّن قوّة حافظة ابن دريد وكثرة محفوظاته ، ويتبيّن كذلك مدى تمكّنه وتضلّعه في اللغة .

وابن دريد – كما أشرت سابقاً – كان من المعمّرين ، ومن هنا كثرت مؤلفاته ، ومنها جمهرة اللغة الذي سأخصّه بحديث بعد ذلك ، والاشتقاق ، وروّاد العرب ، وصفة السرج واللجام ، والمجتنى ، والملاحن ... [١٦] .

وتوفيّ ابن دريد " في يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح بالقرب من الشارع الأعظم ، وتوفيّ في ذلك اليوم أبو هاشم

---

[٦] النجوم الزاهرة ٣ / ٢٤٠ .
[٧] إنباه الرواه ٣ / ٩٤ .
[٨] نزهة الألباء : ص ٢٥٧ .
[١] شذرات الذهب ٢ / ٢٨٩ ، وينظر مروج الذهب للمسعودي { ت ٣٤٦ هـ } – تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م – ص ٣٢٠/٤ ، ووفيات الأعيان ٤ / ٣٢٣ .
[٢] ينظر الجمهرة / ١٠٨٥ .
[٣] انظر : مؤلفات ابن دريد بالتفصيل في الاشتقاق لابن دريد (مقدمة المحقق) ص ١٥ : ٢١ . والجمهرة (مقدمة المحقق) ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

عبد الســـلام بن أبي علي الجبّائيّ المتكلم المعتزليّ ... فقال الناس : اليوم مات علم اللغة والكلام ... ورثاه جحظة البرمكيّ ... بقوله : (بسيط)

فُقِدت بابن دريد كلُّ فائـدةٍ ∴ لما غدا ثالثَ الأحجارِ والتربِ

وكنتُ أبكي لفقدِ الجودِ منفرداً ∴ فصرت أبكي لفقدِ الجودِ والأدبِ"[١٧].

ثانياً : معجم جمهرة اللغة :

معجم جمهرة اللغة فريد في منهجه ، فلم يســـبقه أحد في جعل نظام الترتيب على التقليب الهجائي (الألفبائي) ، ولم يتبعه أحد في هذا الترتيب .

ولجأ ابن دريد إلى الترتيب الهجائي (الألفبائي) تيســـيراً على الطلاب ، حيث قال في مقدّمته مبيّناً صـــعوبة منهج الخليل : " وقد ألّف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي – رضــوان الله عليه – كتاب العين ، فأتعب من تصــدّى لغايته ، وعنَّى من ســما إلى نهايته ، فالمنصـــف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلّف ، وكل من بعده له تبع ، أقرّ بذلك أم جحد ، ولكنّه – رحمه الله – ألّف كتاباً مشـــاكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدّة أذهان أهل دهره ، وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس فاش ، والعجز لهم شـــامل ، إلا خصائص كدراريّ النجوم في أطراف الأفق ، فسهلّنا وعره ووطّأنا شأزه ، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة إذ كانت بالقلوب أعبق ، وفي الأســـماع أنفذ ، وكان علم العامّة بها كعلم الخاصّة ، وطالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة مشفياً على المراد "[١٨].

فيتبيّن مما ســبق أن ابن دريد لجأ إلى الترتيب الهجائي (الألفبائي) تخلّصـــاً من صـــعوبة الترتيب الصـــوتي الذي ســـار عليه الخليل وغيره ، وابتغاء لخفّة الترتيب الألفبائي وســهولته ، فهو ترتيب : العامّة والخاصّــة في علمه ســواء . وقد بيّن ابن دريد علّة تســمية معجمه بالجمهرة قائلاً : " وإنما أعرناه هذا الاســم؛ لأنّا اخترنا له الجمهور من كلام العرب ، وأرجأنا الوحشــيّ المســتنكر "[١٩]، فابن دريد كأنّه بقوله الســابق" يشــير إلى أن كتابه يضــمّ

[٤]وفيات الأعيان ٤ / ٣٢٨ .
[١]الجمهرة / ٤٠ .
[٢]الجمهرة / ٤١ .

المعروف فقط دون غيره مما توحّش واستنكر ، فلم يكن مقبولاً"[٢٠].

ويمكن أن يكون المقصود من كلمة (جمهرة اللغة) إجمال اللغة ، ويمكن أن يكون المقصود : جمع اللغة ، فلفظ الجمهرة " يأتي مصدراً من جمهر الكلام : أجمله ، ويمكن أن يكون مصدراً من جمهر الشيء : جمعه ، فإذا ما أضيف بهذا المعنى فإنه يعطي الإشارة إلى القيام بجمع الكلام أو اللغة أو إجمالها على النحو السابق ، والجمهرة أيضاً يستعمل اسماً بمعنى معظم الشيء ، فإذا أضيف إلى الشيء كالكلام واللغة كان المقصود معظم الكلام أو اللغة ، ولا يبعد ما قدّمه ابن دريد كثيراً عن هذا المعنى"[٢١].

والمعاني السابقة لكلمة (جمهرة) جاءت " كلّها تقريباً في حديث المؤلف ، فهو يقول " وهذا كتاب جمهرة الكلام واللغة ، ومعرفة جمل منها تؤدي الناظر فيها إلى معظمها إن شاء الله تعالى"[٢٢].

واستعمل ابن دريد " لفظ مجمهرة " بمعنى مجموعة ... ، وهو يتحدث عن الرباعي ، فيقول : " فأما الرباعي فأبوابه مجمهرة على حدتها "[٢٣] .

وقد استقى ابن دريد مادة الجمهرة من مصادر كثيرة ، ومنها العين للخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) والكتاب لسيبويه (١٨٠) والأصنام لابن الكلبي (٢٠٤) والنسب لابن الكلبي والمجاز لأبي عبيدة (٢١٠) والهمز لأبي زيد الأنصاري (٢١٥) والفرق لأبي حاتم السجستاني (٢٥٥) والمذكّر والمؤنّث لأبي حاتم السجستاني وغير ذلك .

ثانياً: منهج ابن دريد في عرض معجمه :

اعتمد ابن دريد في عرض مادة الجمهرة على أساسين :

الأول : نظام التقليب ، فالثنائي يقلّب على صورتين ، فمثلاً (در) لها صورتان در ، ورد ، والثلاثي يقلّب على ست صور ، فمثلاً (ضرب) لها عند التقليب ست صور، وهذه الصور توضع تحت (ب ر ض) إذ الباء أسبق في الترتيب (الألفبائي) من الراء ،

---

[٣] المعجم العربي بين النظرية والتطبيق : د / عبد الله ربيع – دار البشرى للطباعة – ط : الثانية – ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م - ص ١٨٦ .

[٤] المعجم العربي بين النظرية والتطبيق : د / عبد الله ربيع : ص ١٨٦ .

[٥] الجمهرة / ٤١ ، والمعجم العربي : د / عبد الله ربيع : ص ١٨٧ .

[٦] الجمهرة / ٤٠ ، والمعجم العربي : د / ربيع : ص ١٨٧ .

والراء أسبق من الضاد ، فـــ (ب ر ض) يوضع تحتها ستة تراكيب : (برض – بضر – ربض – رضب – ضبر – ضرب) ، والمستعمل يشرحه والمهمل يشير – في الغالب – إلى إهماله ، وابن دريد متأثّر في نظام التقليب بصاحب العين ، لكنّه جدّد وخالف صاحب العين في جعل نظام التقليب على الترتيب الهجـــــــائي (الألفبائي) ، بخلاف صاحب العين ، فالتقليب عنده على أساس الترتيب الصوتي للحروف (ع ، ح ، هـ ، خ ...) .

الثاني : وضـــع التراكيب اللغوية تحت الأبنية ، حيث قسّـــم التراكيب إلى الثنائي والثلاثي والرباعي ... وما إلى ذلك مما سيأتي تفصيلاً .

وبعد هذا ، فإليك عرض مادة الجمهرة .

ابتدأ ابن دريد مؤلّفه بتحميد الله والثناء عليه ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، والهدف من وضـــعه الجمهرة ، ثم بيّن – في إيجاز – منهجه في عرض الجمهرة ، ثم أورد سبب تسمية معجمه بالجمهرة ، وبيّن عدد الحروف التي استعملتها العرب في كلامها ، وأورد الحروف التي تختصّ بها العرب ، وذكر الحروف الفرعية المرغوب عنها ، وتعرّض لصفات الحروف من حيث الإصمات والذلاقة ، والجهر والهمس ، والشدّة والرخاوة ، وتقسيم الحروف على مخارجها ، وعقد باباً لمعرفة الزوائد ومواقعها ، كما أورد باباً لأوزان الثلاثي والرباعي والخماسي ، وتعرّض للإبدال بين الحروف.

باب الثنائي الصحيح :

بعدما ســـبق أورد باباً للثنائي الصـــحيح ، وهو – كما ذكر ابن دريد – " لا يكون حرفين إلاَّ والثاني ثقيل حتى يصـير ثلاثة أحرف : اللفظ ثنائي والمعنى ثلاثي ، وإنما سـميّ ثنائياً للفظه وصـــورته ، فإذا صـــرت إلى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحد الحروف المعجمة ، والثاني حرفين مثلين أحدهما مدغم في الآخر ... "[٢٤].

وابتدأ ابن دريد هذا الباب بفصـــل الهمزة والحرف الثاني المضـــعّف ، فذكر تحته

[١] الجمهرة / ٥٣ .

أب ب – أت ت – أث ث – أ ج ج – أ ح ح – أ خ خ – أ د د – أ ذ ذ – أ ر ر – أ ز ز – أ س س – أ ش ش – أ ص ص – أ ض ض – أ ط ط – أ ك ك – أ ل ل – أ م م – أ ن ن – أ و و – أ هـ هـ – أ ي ي .

ويلاحظ أن ابن دريد لم يذكر أي معكوس للمواد السابقة ، ففي أ ب ب مثلاً لم يذكر معكوسه ب أ ...

هذا بخلاف باب الباء وما يليه من الحروف فقد أورد معكوساته فمثلاً (ب ت ت) ذكر تحته معكوسه ، وهو (تب) ، وكذلك (ب ج ج) ، ذكر تحته معكوسه ، وهو (جب) ، وهكذا سار ابن دريد إلى أن ختم باب الثنائي المضعّف بحرف الهاء وما بعده وهو يتمثّل في تركيب (هـ ي ي) .

أبواب الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرّر :

ويقصد بأبواب الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرّر التراكيب التي فاؤها ولامها الأولى من جنس واحد ، وعينها ولامها الثانية من جنس واحد نحو (ب ت ب ت) ، و (ب ث ب ث) ، وابتدأ هذه الأبواب بباب الباء مع التاء (ب ت ب ت) حتى أنهاها بباب الهاء مع الياء (هـ ي هـ ي) ، وأورد معكوسات التراكيب فمثلاً (ب ج ب ج) ذكر تحته (بجبج) و (جبجب) .

باب الهمزة وما يتصل به من الحروف في المكرّر :

ويقصد بهذا : التراكيب التي فاؤها ولامها الأولى من جنس واحد ، وعينها همزة ولامها الثانية همزة في كل التراكيب نحو (ب أ ب أ)، و(ت أ ت أ)، و(ث أ ث أ) ... حتى ينتهي الباب بـ (ي أ ي أ) ، ولم يذكر أيّ معكوس للتراكيب التي تقع تحت هذا .

باب الثنائي في المعتلّ وما تشعّب منه :

ويقصد بهذا الباب : التراكيب التي تبدأ بالحرف الصحيح ، وعينها همزة ولامها واو أو ياء ، فهذا الباب ابتدأ بـ (ب أ و ي) ومعكوساتها ، وبعده (ت أ و ي) ومعكوساتها ، ثم (ث أ و ي) ومعكوساتها ، ثم (ج أ و ي) ومعكوساتها ، حتى انتهى الباب بمادة (هـ أ و ي) ومعكوساتها.

أبواب الثلاثي الصحيح وما تشعب منه :

ويقصـــد بهذا الباب : التراكيب الثلاثية التي كل حرف فيها يختلف عن الحرفين الآخرين ، فليس فيها حرفان من جنس واحد ، فالحروف الثلاثة يختلف بعضها عن بعض .

وقد ابتدأت هذه الأبواب بمادة (ب ت ث) ثم (ب ت ج) ثم (ب ت ح) ، وهكذا حتى يصل إلى (ب ت ي) مع ذكر معكوساتها إن كان لها معكوسات مستعملة ...

وبعد أن ينتهي من باب الباء يبدأ بذكر باب التاء مع ما يليه من الحروف وهو (ت ث ج) وهكذا ... حتى أنهاه بباب (الواو والهاء والياء) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن أبواب الثلاثي الصحيح تبلغ ثلثي الكتاب تقريباً ، وغير خافٍ أن الكلمات الثلاثية لا يصعب الكشف عنها في معجم الجمهرة ؛ وعليه : فالبحث في ثلثي المعجم يعدّ ميسوراً سهلاً .

وأما بقيّة الكتاب فإنه من الصعب البحث عن الكلمات فيه ، فهنا يلجأ الباحث إلى الجزء الخاص بالفهارس ليتعرّف على مكان اللفظة ، ثم يذهب إليه ، فقد " حاول مصحّح الجمهرة في طبعته الأولى تيسير التعامل مع هذا المعجم الصعب ، فصنع له كشّافاً جمع فيه الألفاظ الواردة مرتّبة ترتيباً ألفبائياً ، وبيّن مواضعها في الكتاب ، فشجّع كثيراً على البحث فيه والانتفاع به "[٢٥].

باب من الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلان في موضع الفاء والعين أو العين واللام أو الفاء واللام من الأسماء والمصادر ، وهو ملحق بما مضى من الثلاثي الصحيح .

باب ما كان عين الفعل فيه أحد حروف اللين.

أبواب ما لحق بالثلاثي الصحيح بحرف من حروف اللين وما تشعّب منه :

ويقصد بهذه الأبواب المواد الثلاثية التي تشتمل على حرفين صحيحين ، والحرف الثالث همزة أو أحد حروف العلة ومعكوسات هذه التراكيب .

وافتتح هذه الأبواب بمادة (ب ت– و– ا– ي) ومعكوساتها، ثم (ب ث– و–ا– ي) ثم (ب ج و – ا – ي) ... وهكذا .

[١] المعجم العربي : د / عبد الله ربيع - ص ٢٠٥ .

وبعد أن ينتهي بباب الباء ، دخل في باب التاء وما يليه ، فكان أول باب التاء مادة (ت ث – و – ا – ي) ، ثم (ت ج – و – ا – ي) ثم (ت ح – و – ا – ي) مع ذكر معكوساتها ...

وختم ابن دريد هذه الأبواب بباب النون ، فكان آخر مادة (ن ي – و– ا– ي)... وأبواب ما لحق بالثلاثي .

باب النوادر في الهمز :

ويقصد بباب الهمز الكلمات المختومة بالهمزة .

فقد ابتدأ هذا الباب بباب الألف في الهمز ، وأكثر ما وضـــع تحت هذا الباب : الكلمات التي تبدأ بالهمزة ، وتنتهي بالهمزة ، وليس شـــرطاً أن تكون الهمزة المبتدأ بها من أصـل الكلمة ، فمثلاً وضـع تحت هذا الباب الكلمات الآتية : أنسـأ – أبدأ – أوبأ – أرجأ – أردأ – أدرأ – أكمأ – أكفأ ... وهكذا .

ووضـــع تحت باب الألف في الهمز كلمات لا تنتهي بالهمز ، وإنما تبدأ بها نحو : أنت – أبن – أفن – ألف – أكر – ألب – ... وهكذا .

وبعد أن انتهى بباب الألف في الهمز ، تلاه بباب الباء في الهمز ، وهذا الباب وضـــع تحته في الكثير الغالب الكلمات المبتدأة بالباء والمنتهية بالهمز، نحو بســـأ وبرأ وبدأ وبذأ ... وهكذا ، حتى انتهى ابن دريد بباب الهاء في الهمز .

باب اللفيف في الهمز :

ولا يقصـــد باللفيف الثلاثي الذي فيه حرفا علة ، وإنما الكلمات الموضـــوعة تحت الباب كلمات لا تخلو من الهمزة نحو وزأ وأسـبأ والرشـأ والفرأ والسـأو والفأو وبأبأ وصـأصـأ والشنء والنؤور، والضئبل ، واليأس ... وهكذا .

أبواب الرباعي الصحيح :

بدأ هذه الأبواب بباب الباء في الرباعي ، حيث ذكر تحته الكلمات الرباعية المشتملة على حرف الباء ، وبعد أن انتهى من باب الباء ، شرع في باب التاء وهكذا .

أبواب الرباعي المعتل :

ذكر تحت هذا الباب – على سبيل المثال – الكلمات الآتية : دَرْدَق – القَرْقَف – الزَّهزقة – الساسَم – الفَدْفَد – الجُدْجُد.

ويلاحظ أن معظم الكلمات الموضوعة تحت هذا الباب ليس فيها حرف من حروف العلة .

وبعد هذا اشتمل الكتاب على أبواب كثيرة فرعيّة ، نحو باب ما جاء من الرباعي على فِعَلّ وفِعِلّ وفُعُلّ – باب ما جاء على فَعْلَى من الأسماء والصفات ... باب ما جاء على فِعْلَل وهو قليل .

أبواب الخماسي وما لحق بها بحرف من حروف الزوائد.

أبواب اللفيف :

ولا يقصد باللفيف ما كان فيه حرفان من أحرف العلة ، وهذا يظهر من قول ابن دريد " وسميناه لفيفاً لقصر أبوابه والتفاف بعضها ببعض "[٢٦].

أبواب النوادر : وهذه الأبواب قد وضع تحتها تفريعات كثيرة .

هذا وقد لاحظ كثير من الباحثين على ابن دريد اضطرابه في منهجه وعرضه مواد اللغة[٢٧].

وإذا عسر على الطالب شيء في الجمهرة ، ولم يستطع الوصول إليه ، يمكنه تحقيق ذلك من خلال الفهارس التي أعدّت لهذا المعجم .

ثالثاً : مطاعن وجّهت إلى ابن دريد وكتابه الجمهرة :

وجّهت إلى ابن دريد وكتابه الجمهرة مطاعن كفيلة بالنيل منه ومن معجمه الجمهرة ، ومنها:

---

[١] الجمهرة / ١٢٢٧ .

[٢] ينظر بالتفصيل منهج ابن دريد وما أخذ عليه من اضطراب في المنهج : المعجم العربي نشأته وتطوره د / حسين نصار – ط : دار مصر – ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - ص ٣٢٣ ، والمعجم العربي بين النظرية والتطبيق : ص ١٨٩ – ٢٠٥ ، ومن قضايا المعجم العربي : د / الموافي البيلي – ط : ١ سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م – ص ٥٥ : ٦٢ ، والمعاجم اللغوية العربية : د / إميل يعقوب – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الثانية – ١٩٨٥م – ص ٧٩ – ٨٣ ، والمعاجم العربية : د / عبد الله درويش – مكتبة الشباب : ص ٢٤ ، والمعجم العربي : د / رياض قاسم - دار المعرفة – لبنان - الأولى – ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م – ص ٣٩ ، ومخالفات ابن دريد لمنهجه في معجمه الجمهرة – نقد منهجي – د / وحيد عبد المقصود زايد – ط : التركي –طنطا – مصر - الأولى – ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .

١ – افتعال العربية ، وتوليد الألفاظ ، والسُكْر ، وعدم معرفة ثاقبة في الجمهرة :

وجّه الأزهريّ في مقدمة التهذيب إلى ابن دريد تهماً حيث قال : " وممن ألّف في عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول ، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجمهرة ، وكتاب اشتقاق الأسماء ، وكتاب الملاحن ، وحضرته في داره ببغداد غير مرّة ، فرأيته يروي عن أبي حاتم ، والرياشي ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، فسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه عنه فاستخفّ به، ولم يوثّقه في روايته. ودخلت يوماً عليه ، فوجدته سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام ، من غلبة السُكْر عليه، وتصفّحت كتاب الجمهرة له فلم أره دالاً على معرفة ثاقبة ..."[٢٨].

وتصدى للردّ على الأزهري غير واحد من الباحثين ، فهذا السيوطي يقول : "معاذ الله هو بريء مما رمي به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحرّيه في روايته "[٢٩].

وأورد الشيخ عبد السلام هارون جملة من المطاعن التي رمي بها ابن دريد ، ثم قال معقّباً عليها : " هذه هي جملة المطاعن التي رمي بها ابن دريد : أنه كان يفتعل الألفاظ ، وأنه كان لا يتشدّد في الرواية، وأنه كان يشرب الخمر .

أما التهمة الأولى ففيها تحامل كبير ، وقد ذاع كتابه الجمهرة وارتضاه العلماء منذ قديم الزمان ، وما رواه من ألفاظ غير موثوق بها لم يدعه غُفلاً ، وإنما نبّه على شكّه فيه بقوله : " لا أحقّه " أو " لا أدري ما صحّته " ...

قلت { الشيخ عبد السلام هارون } : ومن تأمّل في كلام الأزهري لمح فيه كثيراً من التحامل الذي يقع فيه المتعاصرون .

وقالوا : ليس التشدّد في رواية علم اللغة كالتشدّد في رواية علم الحديث ، إنما يؤخذ في اللغة قول الصادق الحافظ الضابط المتحرّي للصواب ، لأن اللغوي لا يحفّزه غرض معين إلى افتعال اللغة وإسنادها كما قد يسوق الغرض من نصّب نفسه للحديث ، وأراد أن يخدم بالحديث هوىً معيناً .

[١] التهذيب ١ / ٣١ .
[٢] المزهر ١ / ٩٣ .

وأما ما ذكروه من شربه الخمر ، فمبلغ الظن أنه كان يشرب النبيذ على مذهب أهل العراق، ولم يكن هذا مطعناً في كثير من أكابر الرواة الموثّقين ، ومهما يكن فإن ابن دريد كغيره من جمهرة العلماء ليس يسلم من الطعن عليه بالخطأ والسهو "[٣٠].

ومما يدلّ على صحة الجمهرة أن الجوهري " على تشدّده والتزامه الصحيح ، وتسميته لكتابه الصحاح – نقل عن ابن دريد من مادة الجمهرة كثيراً ، وهذه النقول واضحة بيّنة في الصحاح ، ولم أره قدح فيه مما يدلّ على أنه ثقة لديه "[٣١].

والأزهري عندما رمى ابن دريد بما رمى – " لم يبيّن لنا دلائل صحّتها ، بل إن مسلك الأزهري نفسه مع كتاب الجمهرة ليدحض ما قاله بلسانه ، فقد أكثر من النقل عن ابن دريد في الجمهرة موافقاً إياه على معظم ما نقله ، وقد قام الدكتور / نور الشاذلي بإحصاء نقول الأزهري عن الجمهرة من خلال التهذيب ، فوجدها ثلاثة وثمانين ومائتي نقل ، حظي منها ستة وثلاثون ومائتا نقل برضا الأزهري ، فوافق ابن دريد فيها ، وأقرّه عليها ، وأنكر منها ثمانية عشر نقلاً ، وتردّد في قبول ثلاثة ، وأعلن انفراد ابن دريد بثمانية عشر نقلاً ، والتمس له وجهاً للصواب في ثمانية .

فإن كان ابن دريد – كما زعم الأزهري – مفتعلاً للألفاظ ، فلم نقل عنه كل هذه النقول التي وافقه فيها ورضي عنها ، والنقول التي التمس له وجهاً للصواب فيها ؟! أمر عجيب حقاً "[٣٢].

فمما سبق يتبين لنا " أن ابن دريد كان دقيقاً أميناً ثقة فيما يروي ، متثبّتاً في أحكامه لا يطلقها جزافاً ، فهل مثل هذا يوصم بأنه مفتعل للعربية ، مولّد للألفاظ التي ليس لها أصول ؟! إنها فرية، تولى كبرها الأزهري المعاصر لابن دريد ،وعلى كل فقد " قرّر علماء الحديث أن كلام الأقران في بعضهم لا يقدح "[٣٣].

---

[١] الاشتقاق لابن دريد (مقدمة المحقق) ص ١٣ ، ١٤ .
[٢] اللهجات اليمنية / ١١٣ .
[٣] من قضايا المعجم العربي – د.الموافي: ص ١١٢ ، والانتصار لابن دريد في مواجهة الأزهري – د.نور حامد الشاذلي – التركي بطنطا – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ ١٩٩٤م : ص ٣٣ .
[٤] من قضايا المعجم العربي / ١١٣ ، ١١٤ ، والمزهر ١ / ٩٤ .

وأما عن الرّدّ على قول الأزهري : " وتصفّحت كتاب الجمهرة له ، فلم أره دالاً على معرفة ثاقبة" ، فقد ردّ بعض الباحثين قائلاً : " لقد حوى كتاب الجمهرة على ثمانين وسبعة آلاف جذر من جذور اللغة العربية وتسعة وخمسين وتسعمائة وألفي بيت من الشعر ، وثمانية وأربعين وخمسمائة وألفي مشطور من الرجز ، وثلاث وتسعين وأربعمائة لفظة نبّه على أنها معربة، وتسعة عشر وثلاثمائة مثل من أمثال العرب ، ولغات لست وثلاثين بطناً من بطون العرب ، أَفَتَرَى أن كتاباً حوى كلّ هذه المعارف والعلوم يستحقّ أن يقول عنه الأزهري : " وتصفّحت كتابه الجمهرة ، فلم أره دالاً على معرفة ثاقبة ؟ "[٣٤] .

وعند الموازنة بين مادة الجمهرة ومادة الأزهري في التهذيب الذي ادّعى عدم اشتمال الجمهرة على معرفة ثاقبة لابن دريد نجد أن " المادة اللغوية في الجمهرة تبرز الجانب اللغوي لشخصية المؤلّف بخلاف ما في تهذيب اللغة ، فإنه تكرار لترتيب العين ، وإعادة لمادته مع الجمهرة إلا قليلاً مما أضافه الأزهري من شواهد ، ويكفي أن القائمين على أمر تحقيق العين قد اكتفوا بمعارضة مادته بما في التهذيب، ليقينهم الذي لم يخطئ بأن الأزهري نقل مادة العين كلها وبأمانة "[٣٥].

وعلى ما سبق فابن دريد أكثر تميّزاً في جمهرته من الأزهري في تهذيبه ، ويلاحظ أن الأزهري سأل نِفْطَوَيْه عن ابن دريد فقال فيه ما قال ، ومع ذلك لم نر الأزهري يذكر عن نفطويه سرقة ابن دريد كتاب العين[٣٦].

٢ – سرقة كتاب العين :

وُجِدت منافرة علميّة بين ابن دريد ونفطويه حتى هجا كلّ منهما الآخر ، واتّهم نفطويه ابنَ دريد بأنه سرق كتاب العين ، مغيّراً إياه ، ويقول السيوطي : " ولا يقبل فيه { أي ابن دريد } طعن نفطويه ؛ لأنه كان بينهما منافرة عظيمة ، بحيث إن ابن دريد هجاه بقوله : (رجز)

لو أُنزلَ الوحي على نفطويه لكان ذاك الوحي سخطاً عليه

[١] الانتصار لابن دريد : ص ٥ ، ٦ ، والفهارس العامة لمعجم الجمهرة – ص ١٣٤١ ، وما بعدها .
[٢] اللهجات اليمنية : ص ١٠٩ .
[٣] ينظر مقدمة التهذيب ١ / ٣١ .

وشاعرٌ يدعى بنصف اسمه مستأهل للصفع في أخدعيه
أحرقه الله بنصف اسمه وصيّر الباقي صراخاً عليه

وهجا هو ابن دريد بقوله : (رجز)

ابن دريد بقره وفيه عيٌّ وشَرَه
ويدَّعي من حمقه وضع كتاب الجمهره
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

وقد تقرّر في علم الحديث أن كلام الأقران في بعضهم لا يقدح "[٣٧].

اتّهم نفطويه ابن دريد بأنّه سرق كتاب العين وغيّره ، وقد نفى السيوطي التّهمة عن ابن دريد ذاكراً أن طعن نفطويه غير مقبول ، وأدلّ دليل على عدم صحة طعن نفطويه أن الأزهري نقل طعن نفطويه في ابن دريد ، ولم يذكر الأزهري قول نفطويه بأن ابن دريد سرق كتاب العين ؛ لأن الأزهري لو نقل عن نفطويه سرقة كتاب العين ، لكان الأزهري نفسه سارقاً لكتاب العين ؛ لأن ما نقله الأزهري من كتاب العين أضعاف ما نقله ابن دريد من العين ، فنقل ابن دريد أقل بكثير جداً من نقل الأزهري ، وابن دريد يضع بجوار كل نقل من العين ، قال الخليل أو ذكر الخليل .

وقد عارض بعض الباحثين بعض نصوص الجمهرة ببعض نصوص العين ، فوصل إلى أن " الخليل وابن دريد يتّفقان في بعض الصيغ ، ولكنها قليلة فأحياناً تزيد صيغ الخليل ، وأحياناً تزيد صيغ ابن دريد ... وسبب اختلاف الاثنين في الصيغ والشواهد رجوع ابن دريد إلى مراجع أخرى غير العين ، ولدينا فهرس لهذه المراجع في آخر المجلد الرابع ، يظهر منه أنه اطّلع على كتب في اللغة والأدب والتفسير والتاريخ... وكل هذا يجعلنا ننكر على نفطويه طعنه في الجمهرة وادّعاءه أنها مسروقة من كتاب العين ... ونصدّق قول السيوطي : " ولا يقبل فيه طعن نفطويه ؛ لأنه كان بينهما منافرة عظيمة "... ولعلّ أقطع دليل على تعصّب نفطويه أن زيادات الجمهرة على العين كانت من الكثرة بحيث اعتمد عليها ابن التياني في

[٤] المزهر ١ / ٩٣ ، ٩٤ .

كتابه الموعب ... "[٣٨].

فمما سبق يتبيّن أن ابن دريد " ألّف كتاباً متفرّداً له شخصية خاصة به ، وأنه جاء بشواهد وآراء وشروح لا نجدها في العين ، وأحسن ما يستدلّ به على ذلك أخيراً "[٣٩]، قول تلميذه المسعودي عنه : " وكان ممن برع في زماننا هذا في الشعر وانتهى في اللغة، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدّمين "[٤٠].

٣ – اضطراب التصنيف وفساد التصريف :

يقول ابن جني: "وأما كتاب الجمهرة ففيه أيضاً من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه؛ لبُعده عن معرفة هذا الأمر، ولمّا كتبته وقعت في متونه وحواشيه جميعاً من التنبيه على هذه المواضع ما استحييت من كثرته، ثم إنه لمّا طال عليّ أومأت إلى بعضه، وأضربت البتّة عن بعضه"[٤١].

ووافق السيوطي ابنَ جني فيما ذكره ، فقال في المزهر : " مقصوده الفساد من حيث أبنية التصريف ، وذكر المواد في غير محالّها ... ولهذا قال : أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ، يعني أن ابن دريد قصير الباع في التصريف ، وإن كان طويل الباع في اللغة ، وكان ابن جني في التصريف إماماً لا يشقّ غباره ، فلذلك قال ذلك "[٤٢].

لكنّ محقّق الجمهرة نفى أن يكون اضطراب ابن دريد فيها ناشئاً عن ضعف ابن دريد في التصريف ، وإنما هو ناشئ عن كونه أملى الجمهرة من حفظه حيث قال : " فإننا نعزو ما وقع فيه { أي في كتاب الجمهرة } من اضطراب إلى أنه إملاء "[٤٣] ، فقد قال ابن دريد : " وإنما أملينا هذا الكتاب ارتجالاً لا عن نسخة ولا تخليد في كتاب قبله ، فمن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك ، فيعذر إن كان فيه تقصير أو تكرير إن شاء الله "[٤٤] ، وكأنه استشعر بأكثر من

[١] المعجم العربي : د / نصار ٢ / ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
[٢] الجمهرة (مقدمة التحقيق) ص ٢٥ .
[٣] مروج الذهب : ٣٢٠/٤ .
[٤] الخصائص ٣ / ٢٩١ .
[١] المزهر ١ / ٩٣ .
[٢] الجمهرة (مقدمة التحقيق) ص ١٨ .
[٣] الجمهرة / ١٠٨٥ .

ذلك في خاتمة الكتاب ، فقال : " فإن كنا أغفلنا من ذلك شيئاً لم يُنكر علينا إغفاله ؛ لأنا أمليناه حفظاً والشذوذ مع الإملاء لا يدفع "[٤٥].

ويقول محقّق الجمهرة أيضاً : " غير أن كثيراً مما قيل إنه من مظاهر اضطراب الجمهرة له ما يسوّغه ، ولا نراه إلا ناشئاً عن قصد . من ذلك ذكره بعض الألفاظ الثلاثية المختومة بتاء التأنيث في الرباعي ، فإنا لا نخاله لبعد واضعه عن معرفة هذا الأمر كما زعم ابن جني ... وأن تكون التاء زائدة أمر لا يخفى على المبتدئ ، فكيف يخفى على لغوي كابن دريد ؟ لقد نبّه ابن دريد نفسه على هذا الأمر فأغنانا عن التنقيب والاعتذار ، فهو يورد هذه الألفاظ في الرباعي ؛ لأن التاء لازمة فيها لا تفارقها ، إذ ليس لهذه الألفاظ مذكّر ، ودليل هذا "[٤٦] قوله : " والقِرْبَة : معروفة ، وليس لها ذَكَر ، ولذلك أدخلناها في الرباعي مع هاء التأنيث "[٤٧].

فالاضطراب في الجمهرة ، أرجعه محقّق الجمهرة إلى إملاء ابن دريد لها ، وذكر محقّق الجمهرة أيضاً أن ابن دريد تعمّد ذلك ، وبهذا ينفى عن ابن دريد ضعفه في التصريف,ويمكن أن يكون الاضطراب في الجمهرة راجعاً إلى التيسير على الطالب ,فابن دريد فعل ما فعل في الجمهرة ليسّر على الباحث الوصول إلى الكلمة دون حاجة منه إلى حذف الزائد أو رد المحذوف أو رد المبدل , وهذا صنيع بعض العلماء فربما كان هذا هو الدافع له إلى أن يأخذ بصورة الكلمة .

[٤] الجمهرة / ١٣٣٩ ، ومقدمة التحقيق : ص ١٨ .
[٥] الجمهرة (مقدمة التحقيق) ص ١٨ ، ١٩ .
[٦] الجمهرة / ١١٢٤ .

المبحث الثاني: الأزهريون وجمهرة اللغة :

تناول الكثيرون معجم جمهرة اللغة في عصـــرنا الحديث ، فكان للأزهريين باع طويل في ذلك فظهرت العديد من الدراســـات المتمحورة حول جمهرة اللغة منها : الانتصـــار لابن دريد في مواجهة الأزهري للدكتور نور حامد الشـــاذلي ، ومخالفات ابن دريد لمنهجه في معجمه الجمهرة للأســـتاذ الدكتور وحيد عبدالمقصـــود إســـماعيل زايد .... وغيرها. ويهدف البحث هنا إلى بيان جهود الأســـتاذ الدكتور وحيد عبدالمقصـــود إســـماعيل زايد تجاه معجم جمهرة اللغة لابن دريد من خلال كتابه الموسوم بـــ (مخالفات ابن دريد لمنهجه في معجمه الجمهرة[٤٨]).

لقد رســم الدكتور وحيد زايد خطته في تتبّع مخالفات ابن دريد للمنهج الذي رســمه لنا وأفصــح عنه في مقدمة معجمه الجمهرة بدءاً بمخالفته للعنوان الذي ارتضــاه لمعجمه ، فعمد من خلال كتابه إلى بيان ما جاء في هذا المعجم من مخالفات ، و وقف عن كَثَبٍ على أنواع تلك المخالفات، والكشـف عن أسـبابها، من واقع النّصـوص الواردة في أبواب الجمهرة، بعيداً عن العواطف، أو التأثر بأقوال العلماء مدحاً أو قدحاً.

إن الوقوف على المخالفات الواردة في الجمهرة وبيان أنواعها، وكشـف أسـبابها خدمة للعلم وأهله، وتهذيب لمعجم كبير يُعَدّ من أقدم المصـــادر اللّغويّة المعتمدة، وليس فيه ضـــير على ابن دريد، والواجب يقضـــي بأن نقف موقف العدل من علمائنا ونحســـن الظّنّ بهم، ونلتمس لهم الأعذار، ما وجدنا إلى ذلك ســـبيلاً، وأن نقدّر لهم علمهم ونحلّهم منازلهم الّتي اســـتحقّوها، فلا نغلو بإطرائهم، ولا نَحُطّ من أقدارهم، والحقّ أحقّ أن يتبع أين حَلَّ وحيث صقع، كما يقول ابن جني القائل عن معجميّ (العين) و (الجمهر) : " ولو أنّ إنساناً تتـبّع كتاب العين، فأصلح ما فيه من الزّيغ والاضطراب لم أُعنّـــفه في ذلك، ولرأيتُـــه مصيباً فيه مأجوراً على عمله، وإن وجدت فســحة أصــلحت ذلك، وما في كتاب الجمهرة مما ســها فيه مصنّفه رحمه الله "[٤٩].

ولكنَّ المصادرَ لم تذكر أنّ ابن جني وَفَى بما وعد به، فلعلّه لم يجد الفسحة المطلوبة

[٤٨] الطبعة الأولى ، التركي للكمبيوتر ، طنطا ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
[٤٩] سر صناعة الإعراب ٥٦٨/٢-٥٦٩.

لإنجاز مثل ذلك العمل العلميّ.

أولاً : مخالفات ابن دريد في معجمه الجمهرة في كتاب (مخالفات ابن دريد لمنهجه في معجمه الجمهرة):

١_ مخالفته لتسمية معجمه بجمهرة اللغة :

كان وراء تسمية ابن دريد معجمه بالجمهرة هدف ، وهو اختيار الجمهور من كلام العرب ، وتجنب الوحشي المستنكر ، وذلك من قوله في مقدمة المعجم : " وإنما أعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب ، وأرجأنا الوحشي المستنكر "[٥٠]. وقوله أيضاً : " على أنا ألغينا المستنكر واستعملنا المألوف"[٥١] ، وقوله في نهاية المعجم : " وإنما كان غرضنا في هذا الكتاب قصد جمهور اللغة ، وإلغاء الوحشي المستنكر "[٥٢].

أخذ الدكتور وحيد عبدالمقصود يبحث في محتوى المعجم عما خالف فيه ابن دريد ما اختطه في مقدمة معجمه فوجد أن إتيان ابن دريد باللغات الخاصة مخالفة لما أخذ نفسه به من غرضه في هذا الكتاب وهو الإتيان بجمهور كلام العرب لا باللغات الخاصة. ولا شك أن اللغات الخاصة التي تتكلم بها قبائل أو مناطق بعينها مخالفة للكلام الذي تستعمله كل القبائل في كل المناطق أي جمهور العرب.

وقد انحصرت تلك مخالفات التسمية بالجمهرة في :

أ. ذكره الألفاظ الخاصة بمناطق معينة :

ومن ذلك : " المَثْبَنَة : كيس تتخذ فيه المرأة مرآتها وأداتها. لغة يمانية "[٥٣] ، و " جَبَذَ الشيء مثل جَذَبَ ، سواء ، وأهل العراق يسمون الجُمَّار الجَذَب كأنه جذب من النخل "[٥٤] ، و " الأحْبَل الذي يسميه اللوبياء ، لغة يمانية ، ويسميه أهل الحجاز الدَّجَر "[٥٥]. وهكذا أخذ الدكتور وحيد عبدالمقصود يسرد الأمثلة الخاصة بأماكن أو بلدان معينة مما عدّه مخالفة لتسمية المعجم بالجمهرة.

---

[٥٠] الجمهرة ٤/١.
[٥١] السابق ٤/١.
[٥٢] السابق ٥١٤/٣.
[٥٣] السابق ٢٠٤/١.
[٥٤] السابق ٢٠٧/١.
[٥٥] السابق ٢٢٨/١.

ب. ذكره الألفاظ الخاصة بقبائل معينة :

ومن أمثلة ذلك : " الشَّنَج : في بعض اللغات الشيخ ، تتكلّم به هذيل يقولون في كلامهم : شَنَجٌ على غَنَجٍ ، أي شيخ على بعير ثقيل "[٥٦] ، و " الألفت : في لغة بني تميم الأعسر ، وفي لغة غيرهم الأحمق "[٥٧]، و " حَسَرْت البيت إذا كنسته ، وقالوا : المِحْسَرَة المكنسة أيضاً في بعض اللغات "[٥٨]. إن المأخذين السابقين يدلان على أن ابن دريد قد سلك من خلال ذلك التخصيص سواء من حيث المكان أو من حيث القبائل مسلكاً أبعده عن مصداقية التسمية بالجمهرة.

ج. ذكره ألفاظاً نعتها بـ(ليس بثبت):

إن مجيء ابن دريد بغير ما هو ثابت عن اللغويين مخالفة تناقض قوله : جمهور كلام العرب ، ولا يخفى أن ما ليس بثبت فيه تشكك في وجوده نفسه أو صحة كونه عربياً فلا يكون من كلام الجمهور. ومن تلك الألفاظ التي نعتها ابن دريد بأنها (ليس بثبت) :

" حُثارة التبن : حطامه وليس بثبت "[٥٩] ، و " لَقَثْتُ الشيء ألقثه لقثاً إذا أخذته أخذاً سريعاً مستوعباً ، وليس بثبت "[٦٠] ، و " المُزْقة : طائر وليس بثبت "[٦١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن جلال الدين السيوطي قد ذكر من الجمهرة تحت ما ليس بثبت ما ينيف عن الخمسين لفظة[٦٢].

د. ذكره الممات من الأفعال :

في إتيان ابن دريد بالأفعال المماتة وتصريحه بذلك مخالفة لما أخذ به نفسه في منهج معجمه الجمهرة حيث قال : " على أن ألغينا المستنكر واستعملنا المعروف "[٦٣]. ومن تلك الأفعال المماتة :

" رجلٌ حُظُبٌ : وهو الجافي الغليظ ، وقالوا : البخيل ، و وتر حظب : غليظ واشتقاقه من

---

[٥٦] السابق ٢٩٧/٢.
[٥٧] السابق ٢٤/٢.
[٥٨] السابق ١٣١/٢.
[٥٩] الجمهرة ٣٤/٢.
[٦٠] السابق ٤٨/٢.
[٦١] السابق ١٤/٣.
[٦٢] انظر: المزهر ١٠٣/١.
[٦٣] الجمهرة ٤/١.

حَظَبَ يَحْظِبُ وهو فعل ممات "[٦٤] ، و " العَدْثُ : فعل ممات ، وبه سمي الرجل عُدْثان وعَدَثان وهو سهولة الخُلُق "[٦٥] ، و " الحمط من قولهم : حمطت الشيء أحمطه حمطاً إذا قشرته ، وهذا الفعل قد أميت ، والحماط ضرب من الشجر "[٦٦].

يتبيّن لنا مما ذكر في الجمهرة من أمثلة تحت الممات مخالفة ابن دريد للهدف المنشود من وضع معجمه الذي يعني جمهور كلام العرب المستعمل وترك غير المعروف عندهم.

هـ . إتيانه بالمستنكر أو المتروك :

لقد سبق السيوطي الدكتور وحيد عبدالمقصود في هذا المأخذ على ابن دريد وذلك تحت النوع العاشر من اللغات الموسوم بـ(معرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللغات) ، وعرّف كل نوع بقوله : " الضعيف ما انحط عن درجة الفصيح ، والمنكر : أضعف منه وأقل استعمالاً ، بحيث أنكره بعض أئمة اللغة ولم يعرفه ، والمتروك : ما كان قديماً من اللغات ، ثم ترك واستعمل غيره "[٦٧] ، ثم قال السيوطي مستشهداً على ذلك بما أورده ابن دريد في جمهرته : " ومن أمثلة المتروك : قال في الجمهرة : كان أبو عمرو بن العلاء يقول : (مَضَّني) كلام قديم قد ترك ؛ قال ابن دريد : وكأنه أراد أن (أَمَضَّني) هو المستعمل. قال في الجمهرة : خوَّان يوم من أيام الأسبوع من اللغة الأولى وخوَّان وخُوَّان شهر من شهور السنة العربية الأولى "[٦٨].

كما أن الأستاذ الدكتور حسين نصار قد أشار إلى عدة مآخذ على ابن دريد في جمهرته منها " إكثاره من الألفاظ المريبة والمولدة ، فقد عقد السيوطي في المزهر أنواعاً وفصولاً لما روى من اللغة ولم يصح ولم يثبت، والمصنوع ، والضعيف والمنكر والمتروك من اللغات ، والرديء منها. ولم يجد من المعجمات ذخراً فيها كالجمهرة فعبّ منها عباً "[٦٩]

ومما أورده الدكتور وحيد عبدالمقصود للتدليل على مخالفة ابن دريد لمنهجه في الجمهرة بذكره المستنكر أو المتروك :

---

[٦٤] السابق ٢٢٦/١.
[٦٥] السابق ٣٧/٢.
[٦٦] السابق ١٧٢/٢.
[٦٧] المزهر ٢١٤/١.
[٦٨] السابق ٢١٨/١.
[٦٩] المعجم العربي ٤٣٢/٢.

" ودص إليه بكلام يدص ودصاً فيما زعموا إذا ألقى إليه كلاماً لم يستتمه ، قال أبوبكر : وهذا بناء مستنكر ، إلا أنهم قد تكلموا به "[٧٠] ، و " العَضْز : في بعض اللغات المضْغ ، عضز يعضز عضزاً ، ولم يعرفها البصريون ، وهو بناء مستنكر "[٧١].

و. إتيانه بالغريب :

اعترف ابن دريد بمجيئه بالغريب في كتابه الجمهرة وفي هذا مخالفة لما أخذ نفسه به في مقدمة كتابه حيث قال : " وإنما أعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشي المستنكر ".

إلا أنه ذكر في (باب ما جاء على فُعْلُول من الخماسي) قوله : " وإن كان القياس مختلفاً وهو كثير ، وإنما نذكر منه الغريب "[٧٢] ، ثم أخذ يأتي بالأمثلة تباعاً ، ومن ذلك :

" الزُّلْقُوم : في بعض اللغات الحلقوم " ، و " الهذلول : السريع الخفيف " ، و " الغملول : الغامض من الأرض " ، و " كردوم : القصير ".

ومواد هذا الباب الذي صرّح فيه بمجيئه بالغريب كثيرة ، ولعله يعني بالغرابة قلة الاستعمال لهذه الألفاظ.

ويقول الدكتور حسين نصار في نقده لاضطراب ابن دريد في الجمهرة : " نضيف إلى ما سبق ... اضطرابه في منهجه. فهو يفتتح كتابه قائلاً إنه أرجأ الغريب والمستنكر وقصد للجمهور الشائع ، ويختتمه بقوله : إنما كان غرضنا في هذا الكتاب قصد جمهور اللغة وإلغاء الوحشي المستنكر. وكثيراً ما صرّح في تضاعيفه بعنايته بالغريب والنادر ، ووضح ذلك في عناوين الأبواب. فلا موقف واضح له "[٧٣].

٢_ مخالفات ابن دريد لمنهجه في أبواب المعجم الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية :

أشار الدكتور وحيد عبدالمقصود إلى جملة من المخالفات المتعلّقة بالترتيب الداخلي لمواد المعجم المقسّمة بحسب الأبنية وهي كثيرة ساقها في عدة أبواب من كتابه[٧٤].

[٧٠] الجمهرة ٢٧٥/٢.
[٧١] السابق ٣/٣.
[٧٢] السابق ٣٧٩/٣.
[٧٣] المعجم العربي ٤٣٣/٢.
[٧٤] ينظر: مخالفات ابن دريد لمنهجه في معجمه جمهرة اللغة ص٤٧-١١١.

٣. مخالفة ابن دريد لغرضه من المعجم :

إنّ نظام التّقليبات وكثرة الأبواب والتّفريعات والملحقات غير المحكمة أوقعت ابن دريد في شيء غير قليل من مخالفاته لمنهجه الرامي إلى تسهيل منهج الخليل الذي يرى فيه صعوبة على مريد المعجم فقال : " ولكنه رحمه الله ألّف كتابه مشكلاً لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته ، وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس فاش ، والعجز لهم شامل ، إلا خصائص كدراريّ النجوم في أطراف الأفق ، فسهّلنا وعره ووطّأنا شأزه ، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة إذ كانت بالقلوب أعبق ، وفي الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة "[٧٥].

فالمعجم مقسّم عنده إلى الثّنائيّ وما يلحق به، فالثّلاثيّ وما يلحق به، فالرّباعيّ وما يلحق به، فالخماسيّ وما يلحق به، ثمّ أبواب اللفيف وأبواب النّوادر.

ويلحق بباب الثّنائيّ أبوابٌ للثّنائيّ الملحق ببناء الرّباعيّ المكرّر، فباب للهمزة، وما يتّصل بها من الحروف في المكرّر، فباب للثّنائيّ في المعتلّ وما تشعّب منه.

ويلحق بأبواب الثّلاثيّ الصّحيح باب لما يجتمع فيه حرفان مثلان في موضع الفاء والعين أو العين واللام أو الفاء واللام، فباب لما كان عين الفعل منه أحد حروف اللّين، فباب للنّوادر في الهمز.

ويلحق بأبواب الرّباعيّ أبواب للرّباعيّ المعتل، فباب لما فيه حرفان مثلان من الرّباعيّ، ثمّ أَلْحَقَ به عشرين بابا لأوزان مختلفة، حتّى يخيّل للقارئ أنّه أمام معجم من معاجم الأبنية لا الألفاظ.

أما أبواب الخماسيّ وما يلحق بها من أبواب مبنيّة على الأوزان، وكذلك أبواب اللّفيف والنّوادر فهي إلى معاجم الأبنية أقرب، وفيها أدخل، والاضطراب فيها فاش.

وللّفيف عند ابن دريد مفهوم يختلف عمّا اصطلح عليه الصّرفيون، وهو لا يريد به إلاّ الأبواب القصيرة، يقول: " سمّيناه لفيفاً لقصر أبوابه والتفاف بعضها ببعض "[٧٦] هكذا.

وبسبب هذا الاضطراب في المنهج تَشَتَّتَت الألفاظ والأبنية، وتكرّرت، واضطربت الأصول، ونتج عن ذلك الاضطراب في المنهج أن أورد ابن دريد ألفاظاً ثلاثيّة الأصول في أبواب

[٧٥] الجمهرة ٣/١.
[٧٦] السابق ١٢٢٧/٣.

الرّباعيّ، وأورد ألفاظاً ثلاثيّة الأصول أو رباعيّتها في أبواب الخماسيّ، واضطرب في أوزان كثير منها.

ولو أحكم أبن دريد منهجه وقلّل من التّفريعات والملحقات، وساير الخليل في تقسيم الأبنية ما وقع في كثير ممّا وقع فيه، ممّا قد يحمل على ضعف التّصريف، وليس الأمر كذلك.

٤. مخالفة ابن دريد في جعله هاء التأنيث حرفاً أصلياً :

لابن دريد مذهب غريب في رؤيته لأصول الألفاظ، وهو أنّه يعدّ هاء التّأنيث (تاء التّأنيث) من أصول الكلمة ، وهذا مذهب فاسد في الصّنعة المعجميّة، نتج عنه خلل ظاهر في الأصول.

ولهذا اتَّهَمَ عبدالقاهر الجرجاني ابنَ دريد بالجهل بأصول الألفاظ، وبأنّ تصريفه كتصريف الصبيان[٧٧]؛ لأنّه ذكر (لَثَة) في تقليبات (ثهلان)[٧٨] ، و (رِعَة) في تقليبات (عاهر)[٧٩] مع اختلاف الأصول.

فهل كان ابن دريد يجهل أنّ هاء التّأنيث لا تكون أصلاً من أصول الكلمة، فاختلط عليه أمرها؟

لا، ليس الأمر كذلك، فإنّ زيادة هذا الحرف في الكلمة أمر لا يخفى على المبتدئين، فكيف يخفى على لغويّ مقتدر كابن دريد؟

لقد تعمّد ابن دريد إدخال هاء التّأنيث في أصول الكلمة عند التقليب، فكان صنيعه ذلك ناشئاً عن قصد، وهو أنّه ينظر إلى الكلمة، فإن كان لها مذكر من لفظها لم يعدّ الهاء من أصولها، وإن لم يكن لها مذكر من لفظها عدّ الهاء من أصولها؛ لأنّها كالحرف اللازم في الكلمة، فالتّاء في (البَكْرَة) وهي الفَتِيّ من الإبل ليست لازمة لها، لأنّه يقال للمذكّر (بَكْر) فلذلك ذكرها ابن دريد في مادّة (ب ك ر)[٨٠].وأمّا (الجَمْحَة) وهي العين، فالهاء فيها لازمة، فلا يقال: (جَمْح) ولذلك ذكرها في الرّباعيّ (ج م ح هـ)[٨١].

فالعبرة عنده بلزوم الحرف وبقائه في الكلمة، وكذلك يفعل فيما فيه زوائد لازمة غير الهاء.

---

[٧٧] انظر: المقتصد في شرح التكملة ٨٣٣/٢.
[٧٨] الجمهرة ٤٣٣/١.
[٧٩] السابق ٧٧٦/٢.
[٨٠] السابق ٣٢٥/١.
[٨١] السابق ١١٣٥/٢.

ولم يتركنا ابن دريد نستنتج ذلك فنصيب أو نخطئ ، ولكنه نصّ عليه في غير موضع من معجمه، كقوله في باب الرّباعيّ: " القِرْبة: معروفة، وليس لها مذكر، ولذلك أدخلناها في الرّباعيّ مع هاء التّأنيث "[٨٢].

وقوله: " حَرْدَة: اسم موضع، وهذه الهاء هاء التّأنيث، وليس له مذكر في معناه ، فاستجزنا إدخاله في هذا الباب "[٨٣] أي في الرّباعيّ.

وقوله: " الجَمْحَة: العين...وإنّما أدخلناها في هذا الباب، لأنّه لا مذكر لها، فالهاء كالحرف اللازم "[٨٤].

وقوله: " الحَسَكة ... الحقد في القلب، وأدخلناه في هذا الباب؛ لأنّه لا مذكر له من لفظه، إلاّ أن تقول: حَسَكٌ، تريد جمع حسكة "[٨٥].

وقوله: " درهم قَفْلَة؛ أي: وازن ، الهاء أصلية ، وهي هاء التّأنيث، لازمة له، لا تفارقه، ولا يقال: درهم قَفْلٌ "[٨٦].

وقوله: " الصُّفَّة: صُفَّة البيت، وصُفُّة السّرج. قال أبو بكر: وإنّما أدخلناها في هذا الباب؛ لأنّه لا مذكر لها، والهاء تقوم مقام حرف ثالث "[٨٧]

هذا شأنّ ابن دريد في هاء التّأنيث، ونقف معه هنا ثلاث وقفات:

الأولى: أنّ هذا الصنيع غير مألوف في صناعة المعاجم الّتي تقوم على الأصول، وليس له مبرر مقنع. أمّا دفاع المستشرق كرنكو عن ابن دريد في هذه المسألة، وذكره أنّ الدّافع لابن دريد في ارتكاب هذا هو جهل النّاس في عصره، وعدم استطاعتهم التفريق بين ما فيه الهاء الأصليّة، وما فيه هاء زائدة للتّأنيث[٨٨]، فأمر غير مقبول، لما فيه من إساءة الظّنّ بالنّاس؛ ولأنّه لا يمكن أن يتّخذ جهل الجاهلين وسيلة لارتكاب مثل هذا الشّذوذ، في صنعة محكمة.

الثانية: أنّ ابن دريد اضطرب عند التّطبيق، فذكر ألفاظاً مؤنّثة بتاء لازمة في أصولها

---

[٨٢] السابق ١١٢٤/٢.
[٨٣] الجمهرة ١١٤٠/٢.
[٨٤] السابق ١١٣٥/٢.
[٨٥] الجمهرة ١١٤٢/٢.
[٨٦] السابق ١١٦٠/٢.
[٨٧] السابق ٨٩٣/٢.
[٨٨] انظر : المعاجم العربية للدكتور عبدالله درويش /٢٢.

الصّحيحة، أي دون أن يعتدّ بالهاء، فذكر في مقابل ذلك ألفاظاً مؤنّثة بتاء ليست لازمة في أصل فيه الهاء، أو ذكرها في موضعين كـ (الغُصَّة) ذكرها في (غ ص ص)[٨٩] و (غ ص هـ)[٩٠] ، و (الشّقّة) ذكرها في (ش ق ق)[٩١] و (ش ق هـ)[٩٢] ومثل هذا كثير.

الثّالثة: أنّ عَدَّهُ هاء التّأنيث من أصول الكلمة أوقعه في خطأ آخر في الثّلاثيّ المضعّف (الثنائي عند ابن دريد) وهو إسقاط لام الكلمة وإحلال الهاء محلّها، كإيراده (مكّة) في تقليبات (م ك هـ) والصّواب أنّها من (م ك ك) فأسقط لام الكلمة وأحلّ محلّها الهاء، وبذلك وقع في خطأين، إدخال الهاء في أصول الكلمة، وحذف لامها الأصليّة، وهي الكاف.

ومثل هذا جعله (البَنَّة: الرّائحة الطّيّبة) في (ب ن هـ)[٩٣] وهي من (ب ن ن) وجعله (الفِضّة) في تقليبات (ف ض هـ)[٩٤] وهي من (ف ض ض).

أمّا في الثّلاثيّ المعتلّ فإنّ هذه الهاء تكون على حساب حرف العلّة؛ فاء الكلمة في المثال، أو لامها في النّاقص كـ (السّعة) ذكرها في مادّة (س ع هـ)[٩٥] وهي من (و س ع) ، و (البُرَة) في (ب ر هـ)[٩٦] وهي من (ب ر و).

الخاتمة :

وقفنا في هذا البحث على ثلاث مسائل رئيسة من خلال مباحثه:

الأولى: التّعريف الموجز بابن دريد، ومعجمه الجمهرة، والمنهج الّذي ارتضاه لنفسه، ثمّ التّعرّف عن كثب على مواقف العلماء من ابن دريد في معجمه، واختلافهم في أمره بين مادح وقادح، ورصد أبرز مآخذهم عليه.

الثّانية: الوقوف على خلل الأصول في الجمهرة في أبواب الثّنائيّ والثّلاثيّ والرّباعيّ والخماسيّ واللّفيف وملحقاتها.

---

[٨٩] الجمهرة ١٤٢/١.
[٩٠] السابق ٨٩٠/٢.
[٩١] السابق ١٣٨/١.
[٩٢] السابق ٨٧٦/٢.
[٩٣] السابق ٣٨٢/١.
[٩٤] السابق ٩٠٨/٢.
[٩٥] الجمهرة ٨٤٤/٢.
[٩٦] السابق ٣٣١/١.

الثّالثة: الكشف عن أسباب الخلل في الأصول واضطرابها في الجمهرة.
ويمكن أن نخرج ببعض النّتائج، ومن أبرزها:
أ ـ لم يخل باب من أبواب الجمهرة من خلل الأصول أو اضطرابها، وكَثُرَ الخلل في:
١ـ ما فيه هاء تأنّيث (تاء تأنّيث) وبخاصّة الثّلاثيّ المضعّف والثّلاثيّ المعتلّ والرّباعيّ.
٢ـ ما فيه همزة.
٣ـ الثّلاثيّ المعتلّ.
٤ـ الثّلاثيّ المزيد بحرف للإلحاق.
٥ـ الرّباعيّ المزيد بحرف للإلحاق.
٦ـ ما فيه نون ثانية زائدة.
٧ـ ما فيه نون ثالثة ساكنة.
ب ـ لم يكن جمهور الخلل في معجم الجمهرة ناشئاً عن قصور ابن دريد في التّصريف، كما قال بعض العلماء بل هو ناشيء عن أسباب مختلفة، منها ما يتّصل بمنهج ابن دريد، ومنها ما يتّصل برؤيته الخاصّة لبعض المسائل اللّغويّة ومنها ما يحمل على السّهو، ومن أبرز تلك الأسباب:
١ـ اضطراب منهجه.
٢ـ ارتجاله الجمهرة وإملاؤه إيّاها من محفوظه.
٣ـ نظرته الخاصّة إلى هاء التّأنيث.
٤ـ نظرته الخاصّة إلى الحرف الزّائد اللاّزم (حرف الإلحاق).
٥ـ نظرته إلى صورة اللّفظ.
٦ـ تأثُّره بتداخل الأصول اللّغويّة.
ولذا ينبغي أنْ تحفظ لابن دريد مكانته العلميّة الّتي تليق بعالم لغويّ متقدّم خَطَا بالصّنعة المعجميّة خطوة موفّقة إلى الأمام، وبرع في اشتقاق الألفاظ، ولم يقصّر في التّصريف، ولا يضيره ألاّ نضعه في منزلة أبي عليّ الفارسيّ أو تلميذه ابن جنّي، فهذان من أعلام التّصريف في العربية، ومن رواده المشهود لهم بالتفوّق.
وحَسْبُ ابن دريد أنّ يقال: إنّه كان على قدر كافٍ من الإلمام بالتّصريف، إلى الحدّ الذي يُؤهّله لوضع معجم لغويّ يقوم أساساً على معرفة أصول الألفاظ، وما يعتريها من زوائد، ولولا الأسباب السّتة التي ذكرتُها في هذا البحث لجاء معجم (الجمهرة) في وضع أفضل.
رحم الله ابن دريد، وأجزل له المثوبة، كفاء ما بذله من جهد في سبيل صناعة المعاجم العربية.

المصادر والمراجع

١_ الاشتقاق لابن دريد ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى،١٤١١هـ/١٩٩١م.

٢_ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣_ الانتصار لابن دريد في مواجهة الأزهري ، د.نور حامد الشاذلي ، مطبعة التركي بطنطا، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤_ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٥_ تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٦_ جمهرة اللغة لابن دريد ، تحقيق د. رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٧_ جمهرة اللغة لابن دريد ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٧م.

٨_ الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٩_ سر صناعة الإعراب لابن جني ، تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٠_ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ، مكتبة القدس ، ١٣٥٠هـ.

١١_ اللهجات اليمنية في معجمات اللغة حتى القرن الرابع الهجري ، د.أحمد رزق السواحلي، مطبعة التركي بطنطا ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م.

١٢_ مخالفات ابن دريد لمنهجه في معجم الجمهرة . نقد منهجي . ، د.وحيد عبد المقصود زايد ، مطبعة التركي ، طنطا ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٣_ مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م.

١٤_ مروج الذهب للمسعودي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
١٥. المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ، دار الجيل ، بيروت، د.ت .
١٦_ معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
١٧_ المعجم العربي بين النظرية والتطبيق ، د.عبد الله ربيع محمود ، دار البشرى للطباعة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
١٨_ المعجم العربي: نشأته وتطوره ، د.حسين نصار،طبعة دار مصر ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٩. المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين ، د.عبد الله درويش ، المكتبة الفيصلية، ١٩٨٦.
٢٠_ المقتصد في شرح التكملة ، عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق الدكتور أحمد عبدالله الدويش ، الطبعة الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٢٨هـ.
٢١_ من قضايا المعجم العربي،د.الموافي الرفاعي البيلي،الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٢٢_ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب بالقاهرة .
٢٣_ نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .
٢٤_ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ، تحقيق د.إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت.